مجلة كلية الآثار بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

الدور السياسى للمرأة فى العصر العثمانى

إعداد
محمود محمد موسى صالح
مدير منطقة آثار القرنة الجنوبية بالأقصر

مقـدمـــــــة[1]

بلغت الدولة العثمانية ذروة مجدها وقوتها خلال القرنين **السادس عشر والسابع عشر** الميلادى، فامتدت أراضيها لتشمل أنحاء واسعة من قارات **العالم القديم** الثلاثة **أوروبا وآسيا وأفريقيا**، حيث خضعت لها كامل **آسيا الصغرى** وأجزاء كبيرة من **جنوب شرق أوروبا**، **وغربى آسيا**، **وشمالى أفريقيا** ووصل عدد الولايات العثمانية إلى حوالى ستة وثلاثين ولاية، وكان للدولة سيادة إسمية على عدد من الدول والإمارات المجاورة فى **أوروبا**، التى أضحى بعضها يُشكل جزءًا فعليًا من الدولة مع مرور الزمن، بينما حصل بعضها الآخر على نوع من **الذاتي**.

أضحت الدولة العثمانية فى عهد السلطان "**القانوني**" الذى حكم منذ عام١٥٢٠م حتى عام **١٥٦٦م** قوّة عظمى من الناحيتين السياسية والعسكرية، وأصبحت عاصمتها **القسطنطينية** تلعب دور حلقة الوصل بين العالمين الأوروبى المسيحى والشرقى الإسلامى، وبعد انتهاء عهد السلطان "سليمان القانونى" الذى يُعتبر عصر الدولة العثمانية الذهبى، أصيبت الدولة بالضعف والتفسخ وأخذت تفقد ممتلكاتها شيئًا فشيئًا على الرغم من أنها عرفت لبعض الوقت فترات من الانتعاش والإصلاح إلا أنها لم تكن كافية لإعادتها إلى وضعها السابق.

كان لسقوط الدولة العثمانية وانهيارها أسباب عدة من بينها دور النساء وتدخلهن فى شئون الحكم وصراعهن على السلطة وإدارة البلاد وإفساح المجال لأتباعهن من الشخصيات الأجنبية للدخول إلى البلاط العثمانى، الأمر الذى أثر بقوة فى سقوط الدولة وانهيارها وذلك بداية من عهد السلطان "سليمان القانونى"؛ حيث تدخلت زوجته "روكسلانا" الروسية الأصل فى شئون الحكم وإدارة البلاد وأصبح لها سيطرة ونفوذ ورأى فى الحكم ولم تكتفِ بذلك فقد بدأت تُنافس وتُصارع أم السلطان نفسها فى أمور عديدة، الأمر الذى أدى بدوره إلى

---

[1] أتقدم بخالص شكرى وعظيم امتنانى للأستاذ الدكتور/ محمود أحمد محمد قمر أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية بكلية الآداب جامعة الزقازيق، كما أتقدم بخالص شكرى وتقديرى للأستاذ الدكتور/ حازم سعيد محمد منتصر رئيس قسم اللغة التركية بجامعة الأزهر الشريف لتفضل سيادتهما الاشراف على البحث المقدم منى لنيل درجة الماجستير بعنوان "النساء ودورهن في سقوط الدولة العثمانية – دراسة تاريخية – حضارية"

اشتعال الصراع وتدخل شخصيات وأطراف أجنبية إلى قصر السلطان وإلى البلاط العثمانى، ومحاولات هذه الشخصيات التدخل فى إدارة شئون الحكم الأمر الذى أدى بدوره إلى إضعاف السلطة وإضعاف حكم السلاطين.

ومما يدل على التأثير القوى للشخصيات النسائية فى القصر السلطانى العثمانى ما أُطلق عليه تعبير لفظ (سلطنة الحريم)؛ حيث استخدم العثمانيون مصطلح "قادينلَر سَلطَنتى" أى "سلطنة النساء" للإشارة إلى ممارستهن لأدوار سلطانية، أما المقابل العربى له فهو "سلطنة الحريم "فيبقى على الكلمة التى راجت فى الحقبة العثمانية للدلالة على الجناح الضخم الملحق بقصر السلطان العثمانى، الذى يضم والدته وزوجاته وجواريه، وأفراد عائلته من النساء العازبات، إضافة إلى الخدم والموظفين من الجنسين المعينين للاهتمام بالجناح وأعضائه.

بهذا المعنى، تعد **سلطنة الحريم** المفهوم الذى انتشر خلال النصف الأخير من عصر الإمبراطورية العثمانية، الذى يشير إلى تلك النخبة التى تستغل قربها من الحاكم أو السلطان للتدخل وإن بصورة خفية فى شئون الدولة دون أن يكون لها مناصب فيها.

وطوال نحو ١٣٠ عامًا، بين القرنين السادس عشر والسابع عشر، مارس أعضاء جناح الحريم التابع لقصر الحاكم العثمانى أدواراً أثرت فى مسار الدولة وجاء ذلك على نحو خاص إما من **أمهات السلاطين** أو زوجاتهم، وشهد القرن السادس عشر بما يتزامن مع آخر سنوات السلطان "سليمان القانونى" بروز سطوة الحريم وانسحاب السلطان من جلسات الديوان.

وتعد **السلطانة** "**حفصة** سلطان" الألمانية الأصل والدة السلطان "القانونى" واحدة من النساء العثمانيات اللائى شاركن أبناءهن فى إدارة أمور الدولة العلية، وكانت أول من حمل لقب **السلطانة الوالدة** "**والدة سلطان**"، وأعقب غيابها عن البلاط العثمانى سلسلة من الأحداث انتهت إلى إعدام السلطان "سليمان" لأكبر أبنائه الأمير "مصطفى" وكذلك إعدام **الصدر الأعظم** القوى زوج شقيقته "إبراهيم باشا".

أما **السلطانة** "**روكسلانا**" **أو** "**خُرَّم**" زوجة **السلطان** "**سليمان**" فيعتقد أنها بالعودة إلى مفهوم "سلطنة الحريم"، كانت وراء تلك الأحداث، كما يحتفظ الأرشيف العثمانى بمراسلات لها مع زعماء دول العالم آنذاك.

ولكن فعليا السلطانة "نوربانو" زوجة السلطان "سليم الثانى" ابن السلطان "سليمان القانونى" كانت أكبر مثال على مصطلح سلطنة الحريم بسبب ضعف شخصية زوجها، وكانت هى أيضا جارية ثم أصبحت السلطانة الأم، وقد تحكمت أيضا بولدها السلطان "مراد الثالث" لأنه هو الآخر كان ضعيف الشخصية ويركض وراء شهواته، وهناك مثال آخر يعتبر من أشهر أمثلة سلطنة الحريم هى السلطانة (كوسم ماه بيكر) زوجة السلطان "أحمد الأول" وأم السلطانين "مراد الرابع" و "إبراهيم الأول" فكانت هى المحركة الأساسية للأحداث فى عصر السلطان "مراد الرابع" وساهمت كذلك فى عزل ابنها السلطان "إبراهيم" بتأليب الإنكشارية عليه نظرًا لمحاولته إلغاء فساد الإنكشارية والوقوف فى وجه رغباتها، حتى انتهى الأمر بأنها أمرت بقتله.

وقد نرى ظهور الدور السياسيى للمراءة بصورة أعمق فى الفترة منذ عهد السلطانة "حفصة سلطان" والدة السلطان "سليمان القانونى" وحتى عهد السلطانة "خديجة طارخان" والدة السلطان "مراد الرابع" وهذه الفترة الزمنية تمتد على ما يربو قرناً من الزمان، منذ تدخل "روكسلانا" زوجة "القانونى" فى أواخر عهده فى عزل الصدر الأعظم آنذاك "إبراهيم باشا" ثم قتله عام ١٥٣٦م، وحتى انسحاب السلطانة "خديجة طارخان" والدة السلطان "مراد الرابع" من تدخلها فى السياسة وتنصيب الصدر الأعظم "محمد باشا كوبرولى" عام ١٦٥٦م وانتهاء ما يسمى بعصر سلطنة الحريم.

موضـــــوع البحـــــث

نبدأ أولاً برأى الدين الإسلامى فى عمل المرأة فى الحياة السياسية؛ حيث يرى البعض أن المجتمع لم يتهيأ لمزاولة المرأة للسياسة؛ والسبب فى ذلك أن هذه الأعمال تتطلب من المرأة أن تتفرغ لها، وتختلط بالأجانب، بل يتطلب الأمر فى بعض الأحيان أن تسافر بمفردها مما يجعل هذا الأمر صعبًا عليها؛ وعلى أفراد أسرتها فى ممارسة هذه الحقوق

السياسية، فى حين أنه من المفترض عليها أن تتفرغ لشئون الأسرة وتربية أولادها ورعاية زوجها (٢).

وقد ذكر الدكتور مصطفى السباعى فى كتابه " المرأة بين الفقه والقانون"؛ فقال (إنى أعلن بكل صراحة، أن اشتغال المرأة بالسياسة يقف الإسلام منه موقف النفور الشديد، إن لم أقل موقف التحريم، لا لعدم الأهلية، بل للأضرار الاجتماعية التى تنشأ عنه، وللمخالفات الصريحة لآداب الإسلام وأخلاقه، وللجناية الغالبة على سلامة الأسرة وتماسكها، وانصراف المرأة عن معالجة شؤونها بكل هدوء وطمأنينة) (٣).

وقد نرى أن المرأة قد شاركت قبل ذلك فى الحياة العامة على قدر طاقتها وقوة استيعابها وإدراكها، وأيضًا قد اختلطت بالرجال وساهمت فى شتى المجالات فى الجاهلية وفى صدر الإسلام، والأمثلة كثيرة على ذلك، فمثلاً نرى السيدة "سمراء بنت نهيك الأسدية" والتى أدركت الرسول ﷺ تمر بالأسواق؛ وتأمر الناس بالمعروف؛ وتنهاهم عن المنكر، وكانت تضربهم على ذلك بالسوط، كما نرى السيدة "خولة بنت ثعلبة" حينما كانت تقوم بتوجيه النصح لسيدنا عمر بن الخطاب، فى الطريق العام (٤).

وكذلك كان كثير من النساء مناصرين للإمام على كرم الله وجهه و، وكانوا يمدونه بالمال والعتاد والسلاح والمؤن، ويشاركونه فى الدفاع، وكانت الواحدة منهن تصنع ما لا يصنعه الرجل من حيث القدرة على التخفى، وهناك الكثير والكثير من تلك الأمثلة التى توضح أن المرأة شاركت فى الحياة السياسية، ولم ينتج عنها أضرار اجتماعية ولا مخالفة لآداب وتعاليم الإسلام؛ لذلك فيمكن القول بأنه من الممكن أن تمارس المرأة حقوقها فى

---

(٢) عبد الحميد الأنصارى، الحقوق السياسية للمرأة فى الإسلام، حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد الثانى، جامعة قطر، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م، ص ٣٤١.

(٣) مصطفى السباعى، المرأة بين الفقه والقانون، الطبعة السابعة، ١٩٩٩م/ ١٤٢٠هـ، دار الوراق، الرياض، ص١٢٩.

(٤) عبد الحميد الأنصارى، مرجع سبق ذكره، ص ٣٤٠

حدود القواعد الشرعية المحددة لها، بل وأنه من الجائز لها الاجتماع فى أماكن العلم والعبادة والجهاد؛ ولكن بشرط الالتزام بآداب وتعاليم الدين والقواعد الشرعية (٥).

وعند الحديث عن الدور السياسى للمرأة فى العصر العثمانى نجد أن سيدات الحرملك أو الحريم السلطانى " نساء السلطان"، كانت الواحدة منهن لها دور كبير على درجة عالية من الخطورة، حيث استطاعت هذه الفئة من النساء أن تتدخل فى الشئون السياسية العليا للدولة، بل وتعدى الأمر إلى أبعد من ذلك فاستطعن القيام بأدوار فى توجيه هذه السياسة إلى ما يخدم مصالحهن ومآربهن الشخصية (٦).

وقد أصبحت هذه الفئة فى مرحلة كبيرة من مراحل الدولة العثمانية تُشكل أقوى وأخطر مراكز القوى المهيمنة على المسار السياسى فى الدولة على الاطلاق، حتى وصل بهن الأمر فى الكثير من الأحوال لإشعال نار الفتنة والحرب بين الدولة العثمانية وأعدائها من الدول المجاورة لها سواء آسيوية أو أوروبية، بل ولم يكتفين بذلك فتدخلن أيضاً فى السياسة الداخلية للدولة، وتدخلن فى شئون الجيش من تغير قيادته العليا وما شابه ذلك من تغير وتعيين كبار رجال الدولة والموظفين وتقليدهم المناصب السياسية الهامة أو عزلهم أو استبدالهم (٧).

عُرفت هذه الفترة التى تحكمت فيها النساء بالشؤون السياسية للدولة العثمانية بفترة " سلطنة الحريم" أو ما يُسمى بالعثمانية "قادينلر سلطناتى" وهى تُعرف بسلطنة النساء، وذلك إشارةً إلى ممارسة النساء إلى هذه الأدوار السياسية استغلالًا لقربهن من السلطان الحاكم للسماح لهن بالتدخل فى الشؤون السياسية؛ حتى وإن كان هذا التدخل فى بعض الأحيان بصورة خفية، حيث كن يهدفن من ذلك تحريك مؤسسات الدولة نحو رغباتهن

---

(٥) نفس المرجع، ص٣٤١، ٣٤٢.

(٦) عبد العزيز محمد الشناوى، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج الأول، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٠م، ص٥٩٨.

(٧) نفس المرجع، ص٥٩٨.

وطموحهن وممارسة السلطة، فنحو ما يقرب من مائة وثلاثين عامًا مارست نساء الحرملك السلطانى أدوارًا أثرت بلا شك فى مسار الدولة(٨).

فقد خاضت الكثير من نساء الحرملك فى مضمار السياسة وانتهجت الكثيرات منهن هذا المنهج وسلكن نفس دروب سابقتهن وذلك باستخدام نفوذهن وسطوتهن وقربهن للسلطان حتى أثر ذلك بالضرر على أمور الدولة وبالأخص فى خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر (٩).

وقد زاد تدخل نساء الحرملك السلطانى فى الشئون السياسية للدولة من نفوذهن عندما بدأ بعض السلاطين الانسحاب من جلسات الديوان (١٠)، بل لم يكتفين بذلك فسمحن لأنفسهن بالتحكم فى تعيين الصدور العظام وعزلهن وقتما شئن؛ حيث تتدخل السلطانة الأم لدى ابنها السلطان أو تتدخل إحدى زوجاته من القادين أو الباش قادين ليصدر السلطان فرمانًا بالعزل أو الترقية أو تعين آخر أو حتى بالإعدام؛ حيث إنه عندما كان يتم عزل أحد الصدور العظام كان ينتهى الأمر به فى الغالب باغتياله وإعدمه (١١).

وكان لرؤساء الأغوات والخصيان دورًا كبيرًا فى تسهيل دخول نساء الحرملك فى مجال السياسة، فكانوا هم أداة الوصل وحلقة الاتصال بين السلطان ونساء الحرملك وأيضًا بينهن وبين الصدر الأعظم، ويقول المستشرق "بوون" عن زيادة نفوذ وسطوة الحريم فى جميع أجهزة ومؤسسات الدولة العثمانية (إن كلمة واحدة تصدر عن قادين كانت تصنع الأعاجيب فى معظم الأحوال) (١٢).

---

(٨) نفس المرجع، نفس الصفحة.

(٩) أكمل الدين احسان أوغلى، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، م الأول، ترجمة: صالح سعداوى، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إستانبول، ١٩٩٩م، ص ١٥٥.

(١٠) إسماعيل أحمد ياغى، الدولة العثمانية فى التاريخ الإسلامى الحديث، الطبعة الثانية، مكتبة العبيكان، ١٩٩٨م، ص ٩٣.

(١١) عبد العزيز الشناوى، مرجع سبق ذكره، ص٥٩٨.

(١٢) عبد العزيز الشناوى، مرجع سبق ذكره، ص٥٩٨.

وقد حرصت زوجات السلاطين من خلال مباشرة السياسة والحرص على أحقية العرش لأبنائهن أن يقمن بتدبير الكثير من المؤامرات والمكائد وذلك بدايةً من "روكسلانا" الزوجة المحبوبة للسلطان "سليمان القانونى" حيث أثرت عليه وتدخلت فى شئون الحكم والسياسة تدخلًا مباشرًا وأوزعت له بقتل ابنه الأمير "مصطفى"(١٣).

منذ ذلك الحين بدأت تظهر مقدمات ضعف الدولة العثمانية فى عهد ذلك السلطان " سليمان"؛ بوقوعه تحت تأثير "روكسلانا"(١٤)، و لقد جاء من بعدها العديد من أمهات السلاطين اللاتى سنحت لهن الفرصة للتدخل فى شئون الحكم سواء عندما يكون الابن السلطان مازال طفلًا صغيرًا أو عندما يكون السلطان غير جدير بالعرش ولا يقوى على ممارسة الحكم أو لوجود علة به أو مرض مثل السلطان "مصطفى الأول" حيث أصبحت والدته السلطانة "خاندان سلطان" نائبة عنه فى السلطنة، وكذلك السلطانة "كوسم ماه بيكر" زوجة السلطان "أحمد الأول" فقد شغلت مرتين منصب نائبة عن السلطان فى الحكم؛ وذلك أيام ابنها السلطان "مراد الرابع" وحفيدها السلطان "محمد الرابع"(١٥)

ومما لا شك فيه أن عصر السلطان "مراد الثالث –١٥٧٤: ١٥٩٥م"(١٦)، هو أكثر عصر كثر فيه الحديث عن تدخل النساء فى شئون الحكم والسياسة؛ وذلك لأن السلطان "مراد الثالث" كان سلطانًا محبًا وعاشقًا للنساء (١٧)؛ حيث سمح لهن بالتدخل فى شئون الدولة وأخذ برأيهن فى الكثير من الأمور (١٨).

---

(١٣) خليل اينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الإنحدار، ترجمة: محمد.م. الأرناؤوط، الطبعة الأولى، دار المد الإسلامى، بيروت، ٢٠٠٢م، ص١٣٨.

(١٤) إسماعيل أحمد ياغى، مرجع سبق ذكره، ص ٩٣.

(١٥) يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: عدنان محمود سلمان، المجلد الثانى، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، إستانبول، ١٩٨٨م، ص ٢٨٣، ٢٨٤.

(١٦) نفس المرجع، ص٢٦٩.

(١٧) يوسف آصاف، تاريخ سلاطين بنى عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولى، القاهرة، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص٧٠.

(١٨) محمد فريد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحيق إحسان حقى، الطبعة الأولى، دار النفائس، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨١م، ص ٢٦٦.

وبالتالى فقد أهمل السلطان "مراد الثالث" شئون الدولة وظل منعزلًا فى القصر لمدة تزيد عن واحد وعشرين عامًا، بين محظياته وجواريه، الأمر الذى أدى إلى ركود الدولة، وساعد على زيادة تدخل النساء فى السياسة حتى ساءت الإدارة [١٩].

قد عُرف عنه أنه أكثر السلاطين شغفاً بالنساء وانشغالا بالجوارى، كما ذكر أنه كان يملك حوالى أربعين جارية بالإضافة إلى زوجاته الأربع (٢٠).

وقد قيل عنه أيضا أنه أنجب منهن نحو مائة وخمسة عشر ولدًا (٢١)، ولكونه كان مولعًا بالنساء لا يستطيع مغادرة القصر، فقد كان غير مؤهلًا لقيادة الجيش ولا الخروج للحرب حتى وصل به الحال فى آخر أيامه بأنه كان يصلى صلاة الجمعة فى جامع القصر (٢٢).

أدى عزوف السلطان "مراد الثالث" عن ممارسة مهامه السياسية إلى السماح لوالدته السلطانة الأم "نوربانو" وزوجته السلطانة "صفية" بالتدخل المباشر فى السياسة الدولية والحكم، الأمر الذى أدى إلى تقهقر أوضاع الدولة، بسبب تدخل النساء فى شئون الحكم والسياسة لمدة تزيد على قرنٍ من الزمان (٢٣).

وقد زاد نفوذ أمهات السلاطين فى القصر فى الفترة ما بين ١٥٧٤م: ١٦٨٧م(٢٤)، وبلغ هذا النفوذ ذروته إبان حكم سلاطين الفترة الثانية، فقد خضع هؤلاء السلاطين خضوعًا تامًا لزوجاتهم، وسمحوا لهن بممارسة أدوار سياسية تتعلق بالسياسة العليا للدولة، فكانت النساء توجه أمور الدولة وسياستها إلى رغباتهن، حتى أصبحن يشكلن مركز قوى خطيرًا، فقد تركن بصماتهن المؤثرة خلال التاريخ شاهدة على ما فعلن بمسار الدولة(٢٥)؛

---

[١٩] أحمد آق كوندز–سعيد أوزتورك، الدولة العثمانية المجهولة، إستانبول، ٢٠٠٨م، ص ٢٦١، ٢٦٧.

(٢٠) نفس المرجع، نفس الصفحات.

(٢١) يوسف أصاف، مرجع سبق ذكره، ص٧٠.

(٢٢) أحمد كوندز، مرجع سبق ذكره، ص ٢٦١، ٢٦٣: ٢٦٧.

(٢٣) نفس المرجع، ص ٢٦٦.

(٢٤) خليل اينالجيك، مرجع سبق ذكره، ص١٣٧.

(٢٥) عبد العزيز الشناوى، مرجع سبق ذكره، ص٥٧٥.

وأصبح لهن من المكانة لدى السلاطين ما ليس لأحد مثلهن، وبالتالى فقد استجابوا لأوامرهن أو توجيهاتهن ورغباتهن حتى أصبحن المرجع الرئيسى لهؤلاء السلاطين، بل ولم يقف الأمر عند هذا الحد فقد كان لهن من النفوذ ما يسمح لإقصاء وإبعاد من يشأن عن عرش الدولة وعن الحكم بما في ذلك أبنائهن(٢٦).

ومما هو جدير بالذكر أن جميع طبقات وطوائف النساء في الحرملك مارسن السياسة وتدخلن فى أمور الدولة، حتى إن الجوارى أيضًا مارسن هذا الدور، وتدخلن فى شئون السياسة والحكم، فقد تدخلت الجارية "جان فدا"؛ واستغلت الخلاف والنزاع بين والدة السلطان "مراد الثالث" السلطانة الأم "نوربانو" وزوجته السلطانة "صفية"؛ ووقفت بجانب السلطانة الأم وكانت سببًا فى قيام السلطان "مراد الثالث" بتولية أخيها "إبراهيم" ولاية ديار بكر على الرغم من كونه ليس بالكفاءة المطلوبة لتولى هذا المنصب، كما أن الجارية "أستر كيرا" التى يقال عنها إنها من أصل يهودى كانت سببًا فى عصيان السباهيين(٢٧)، وتم إعدامها بعد ذلك فى ميدان السلطان "أحمد" لتسببها فى وقوع هذه الفتنة(٢٨)، وهذا الأمر لم يكن مستجدًا خلال الدولة العثمانية، فقد كان يحدث ذلك بالمثل منذ القدم فقد

---

(٢٦) نفس المرجع، ص٥٧٩، ٥٨٩ ،٥٩٠.

(٢٧) السباهية هم قوة من الفرسان من أكبر القوات العسكرية للدولة العثمانية، وكانوا يتقاضون مقابل خدمتهم أراضى زراعية يقومون بزراعتها بمساعدة الفلاحين، وينسب إلى السلطان "أورخان" ١٣٢٤م ١٣٦٢م أنه أول من استخدمهم وكانوا لحراسته الشخصية حتى ازداد عددهم وأصبحوا قوة قلب الجيش العثمانى وكان الإقطاع الذى يقطع لهم يسمى (تيمار Timar)، محمود محمد الحويرى: تاريخ الدولة العثمانية فى العصور الوسطى، الطبعة الأولى، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص٢٥١: ص ٢٥٤، وعصيان السباهيين هو عصيان حدث فى أواخر عهد السلطان "مراد الثالث" ١٠٠٢هـ / ١٥٩٣م، قامت به المجموعة المسماة بنفس الاسم حينما غضبوا من تأخير رواتبهم وتوجهوا إلى القصر وطالبوا برأس الدفتردار، وطردوا من أراد نصحهم، وقد تجمع أهالى إسطنبول للمشاهدة وعند خروجهم سمعوا صوتاً يقول أضربوهم فاعتقد الحراس أن ذلك أمر من السلطان فهجموا عليهم وقتلوا منهم ما يقرب من أربعمائة شخص وفر الباقون، أحمد كوندوز، الدولة العثمانية المجهولة، ص ٢٦٤.

(٢٨) أحمد كوندز، نفس المرجع، ص ٢٦٧.

كان للنساء من الحظايا والجوارى نفوذ عند الأباطرة والحكام فيرفعن من يرضين عنه ويخفضن من يسخطن عنه (٢٩).

ومن أبرز من تدخلن فى شئون الدولة "خرم سلطان" أو "روكسلانا" زوجة السلطان "سليمان القانونى"(٣٠)، فقد أصبح السلطان أسيرًا لها تحت تأثير حبه وتعلقه الشديد بها؛ حيث سنحت لها الفرصة لتتدخل وتتآمر على قتل ابن السلطان الأمير "مصطفى" لتولى مكانه ابنها "سليم الثانى" الخلافة بعد أبيه السلطان "سليمان القانونى"، على الرغم من أن الأمير "مصطفى" كان قائدًا عظيمًا ومحبوبًا من الجميع، وقد أدى هذا الأمر إلى إشعال الثورة الإنكشارية ضد السلطان، ولكنه سرعان ما أخمدها وتم التخلص من الأمير "مصطفى" وابنه الرضيع؛ بسبب طمع "روكسلانا" فى العرش لابنها(٣١).

وتذكر كتب التاريخ العثمانى دور أم السلطان "مصطفى الأول" السلطانة "خاندان سلطان" فيما يسمى " بالمأساة العثمانية"، فقد كان ابنها السلطان "مصطفى" به حالة من الجنون، وتم إبعاده عن العرش بسبب ذلك، فقامت بتحريك الإنكشارية ضد السلطان "عثمان الثانى" الذى تولى إدارة شئون البلاد، وكانت ترنو من تلك المحاولة عودة العرش لابنها السلطان "مصطفى"، وقد حدث ما خططت له حيث قُتِل السلطان "عثمان الثانى" تحت إشراف الصدر الأعظم "داود باشا" فى عام ١٠٣١هـ/ ١٦٢٢م، وأُعتبرت هذه الحادثة من أخطر الحوادث المأساوية والمؤثرة فى التاريخ العثمانى أثرت على مجرياته مثل حادثة مقتل الأمير "مصطفى" فى عهد السلطان "سليمان القانونى"(٣٢).

ومن الأمثلة الأخرى التى تعد الأكثر شهرة فى التاريخ العثمانى السلطانة "كوسم ماه بيكر"، فهى تعد أشهر نساء التاريخ العثمانى؛ حيث شغلت منصب والدة السلطان إبان فترة حكم كلٌ من ولديها السلطان "مراد الرابع" والسلطان "إبراهيم" لمدة تقترب من ربع

---

(٢٩) عبد السلام الترمانينيى، الرق وماضيه وحاضره، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٧٩م، ص١٠٧.

(٣٠) أحمد كوندز، مرجع سبق ذكره، ص ٢٦٦.

(٣١) أحمد عبد الرحيم مصطفى، فى أصول التاريخ العثمانى، الطبعة الثانية، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٦م / ١٤٠٦هـ، ص ١٠٢.

(٣٢) أحمد كوندز، مرجع سبق ذكره، ص ٢٨٩: ٢٩١.

قرن، كما أنها شغلت منصب نائبة السلطان خلال فترة حكم حفيدها السلطان "محمد الرابع" وكذلك خلال فترة طفولة ابنها السلطان "مراد الرابع" مدة تقترب من اثنتى عشرة سنة، ترأست فيها الدولة العثمانية بصفة رسمية وباشرت جميع الحقوق السياسية الفعلية للدولة، وكانت مشهورة بذكائها ودهائها فى وضع الخطط السياسية، كما كانت مؤثرة ومقنعة فى كلامها، ومولعة بالسلطة وحب السياسة وإدارة شئون الدولة(٣٣).

وفى سبيل ذلك تعدت السلطانة "كوسم ماه بيكر" على كل الأخلاق والتقاليد وقامت بما تشمئز منه الأنفس وتعف عنه الأعين ولا يرضاه أى دين، وذلك حين استحلت دم ابنها السلطان "إبراهيم" فى مقابل الحصول على نشوة السلطة ولذة الحكم والعرش، فقامت بتسليمه للأغوات ليقتلوه، ولكن لم يمهلها القدر إلا قليلًا وكان العدل الإلهى يترقبها لينتقم منها، وذلك عندما أقدمت على ارتكاب جريمة أخرى لا تقل فظاعة وبشاعة من الجريمة الأولى، وذلك حينما حاولت قتل حفيدها السلطان "محمد الرابع" لتعين بدلا منه حفيدًا آخر ولكن من أم أخرى موالية لها، ولكن تم اكتشفت هذه المؤامرة علي يد السلطانة "خديجة طارخان" أم السلطان "محمد الرابع" وتم قتل السلطانة الأم الجدة "كوسم ماه بيكر"(٣٤).

وبعد القضاء على السلطانة "كوسم ماه بيكر" تسلمت السلطانة "خديجة طارخان" أمور الدولة ومقاليد الحكم، وبدأت ساعيةً جاهدةً فى البحث عن صدر أعظم يقود الدولة ويحاول إنقاذها خلال هذه المرحلة، فلم تجد ضالتها إلا بصعوبة بالغة، وكانت تحضر جلسات الديوان الهمايونى من خلف الأستار، كما أنها عقدت عدة اجتماعات مع مستشاريها للوصول إلى الرجل المناسب لتولى أمور السلطة كصدر أعظم، حيث حدثت عدة مفارقات بالنسبة لمنصب الصدر الأعظم فى تلك الفترة الزمنية، فقد تم إعدام "سياوش باشا" وتم إنهاء عمل "درويش محمد باشا" الصدر الأعظم نظرًا لمرضه، كما توالى على هذا المنصب العديد، ومنهم الداماد "أبشير باشا" الذى أُعدم، فكانت هذه الفترة الانتقالية فترة صعبة للوصول إلى الرجل المناسب لتولى زمام الدولة(٣٥).

---

(٣٣) يلماز أوزوتونا، مرجع سبق ذكره، المجلد الأول، ص٤٩٥: ٤٩٧.

(٣٤) نفس المرجع نفس الصفحات.

(٣٥) نفس المرجع، ص ٤٩٨: ٥٠٠.

وقد توصلت السلطانة "خديجة طارخان" بعد مزيد من البحث إلى الرجل الكهل الوزير "كوبرولى" عن طريق أحد مستشاريها، وسرعان ما عرضت عليه الأمر ولكنه رفض قبول الوظيفة إلا بشروط معينة حتي يتمكن من إدارة الدولة، ومنذ ذلك الحين تصدرت المشهد أسرة "كوبرلو" ولمدة ما يقرب من خمسين عامًا (٣٦).

وقد استمرت السلطانة "خديجة طارخان" فى السلطنة مدة تزيد عن أربعة وثلاثين عامًا وهى أطول مدة قضتها سيدة فى منصب سياسى رفيع مثل منصب السلطانة الوالدة خلال التاريخ العثمانى بأكمله، حرصت خلالها على إعادة الدولة العثمانية إلى هيبتها ومكانتها، وكانت على عكس السلطانة "كوسم ماه بيكر" فلم تكن لها أى طموح أو مصالح شخصية، وسلمت السلطة إلى الصدر الأعظم "كوبرولى" ولم تتدخل مرة أخرى فى السياسة ولا أمور الدولة (٣٧)، وكانت قد خلصت الدولة من فوضى عارمة كادت أن تفتك بمجريات الأمور، كما أنها أعدت لابنها السلطان "محمد الرابع" سلطنة قوية الشكيمة مثل أول عهد السلطان "سليمان القانونى"، كما تميزت السلطانة "خديجة طارخان" بالذكاء والعطاء المستمر، وحرصت على تلقين ابنها الدروس فى كيفية التضحية من أجل الدولة، كما كانت أشد حرصاً بعد ذلك من منع أى تدخل للنساء فى شئون السياسة والحكم، وواجهت فى سبيل ذلك صعوبات جمة وكثيرة لكونها إحدى السيدات اللاتى حكمن، وقضت بذلك على ما يسمى فى التاريخ العثمانى بمفهوم "سلطنة الحريم" الذى ظهر فى الفترة من تولى السلطانة "خرم أو روكسلانا" وحتى تاريخ انسحاب السلطانة "خديجة طارخان" من الإنابة عن ابنها فى السلطة عام ١٦٥٦م (٣٨).

وقد تعاظم دور النساء فى السياسية، فأشعلن الحروب تارة بين الدولة العثمانية وأعدائها، وكما رأينا فقد تدخلن تارة فى أمور وشئون الدولة وخاصة فى عزل وتعيين قادة الجيش وكبار موظفى الدولة، ولكن انتهى هذا الدور وانتهت معه ممارسة نساء الحريم

---

(٣٦) نسيبة عبد العزيز الحاج علاوى، دور آل كوبرولى فى إصلاح أوضاع الدولة العثمانية (١٦٥٦-١٧٠٢م)، كلية الآداب، جامعة الموصل، المؤتمر العلمى الأول لكلية التربية الإسلامية، ٢٠٠٧م، ص ٢٤٤: ٢٤٧.

(٣٧) نفس المرجع، ص٢٤٧.

(٣٨) يلماز أوزوتونا، مرجع سبق ذكره، المجلد الأول، ص٥٠٠، ٥٠١.

السلطانى للسياسة والتدخل فى أمور الدولة والتحكم فى مجريات الأمور (٣٩)، وبعد ذلك لم يشهد التاريخ العثمانى دخول أى امرأة سواء كانت والدة سلطان أو زوجة سلطان فى شئون الدولة والسياسة بصورة ظاهرية معلنة(٤٠)؛ ولكن تأثيره ظهر بصورة خفية متوارية؛ فعند مجيئ عصر السلطان "عبد الحميد الثانى" أدرك أن تدخل النساء فى شئون الدولة وإن كان كما ذكرنا بصورة غير علنية يؤل بخرابها، مثل كلًا من السلطانة "بروتونيال" والدة السلطان "عبد العزيز الأول"، والسلطانة "شوق أقزا" والدة السلطان "مراد الخامس حينما شاركت فى قرار عزل ابنها[٤١].

وأيقن السلطان "عبد الحميد الثانى"أن تدخل النساء فى أمور الدولة لم يأتِ إلا بنتائج غير مرضية لكلًا من الدولة أو الأسرة المالكة (٤٢).

وأول شىء فعله السلطان "عبد الحميد الثانى" فى اليوم التالى لتوليه العرش هو أنه قام وقبل يد مربيته السلطانة "برستو" وقال لها "إننى لم أشعر فى يوم من الأيام بحرمانى من والدتى، وأنت فى نظرى مثلها تمامًا، لا فرق بينكما، إن مكانتك فى مكانة "والدة سلطان"؛ وسوف يكون من حقك استخدام كل صلاحيات الوالدة فى السراى، غير أننى أرجو منك بصورة خاصة أن تتجنبى أبداً التدخل فى شئون الدولة: فتسعين لحماية هذا أو ذاك وتساعدين الطامعين فى الرتب والمناصب" (٤٣).

وكان السلطان "عبد الحميد" يرى أن دور المرأة مقتصر على البيت وتربية النشء ورعاية الأسرة؛ لذلك كان حريصًا شديد الحرص على ألا تتدخل أى امرأة فى شئون دولته سواء من بعيد أو من قريب، ولم يحدث فى عهده أن كان للمرأة رأى فى شئون الدولة،

---

(٣٩) عبد العزيز الشناوى، مرجع سبق ذكره، ص٥٩٨.

(٤٠) يلماز أوزوتونا، مرجع سبق ذكره، المجلد الأول، ص ٥٠١.

(١) محمد فريد، مرجع سبق ذكره، ص٥٨٦.

(٤٢) عائشة عثمان أوغلى، والدى السلطان عبد الحميد الثانى، ترجمة: صالح سعداوى صالح، الطبعة الأولى، دار البشير، الأدرن، ١٤١١هـ/ ١٩٩٩م، ص٦٨.

(٤٣) نفس المرجع، ص٦٨، ٦٩.

على الرغم من أنه اهتم بتعليمها وتثقيفها وأنشأ لها دار المعلمات، ولكنه كان ضد اختلاط المرأة بالرجل وكذلك ضد سفورها (٤٤).

وعلى صعيد آخر نجد أن المرأة فى العصر العثمانى قد شاركت فعلياً فى أعمال البناء الحضارى للدولة العثمانية فى جميع أقطارها تقريبًا، كما تمتعت بمجموعة من الحقوق التى كفلتها لها الشريعة الإسلامية، ومثلت الإطار القانونى والفقهى الحاكم للدولة والمجتمع العثمانى فى جميع أرجائه؛ فنجد أن لوالدة السلطان العثمانى وأزواجه دورًا كبيرًا فى بناء الكثير من الأبنية التى ساهمت على إفادة السكان فى أراضى الدولة المختلفة، فعلى سبيل المثال، شاركن فى بناء وتأسيس الجوامع، والمستشفيات، والحمامات العامة، وأماكن توزيع الأطعمة للفقراء، والمدارس، والمكتبات، والآبار، وأوقفن عليها الأوقاف الكثيرة المسؤولة عن صيانتها ودفع رواتب العاملين بها، وأما بالنسبة للنساء اللاتى تمثل الطبقات الاجتماعية الأخرى فنجد أنهن تمتعن بحقوق التملك، والتحكم الكامل فى تلك الممتلكات، بالإضافة إلى تأسيس العمارات وإدارتها وغيرها من المشاركات الاجتماعية الأخرى(٤٥).

وتأتى أمهات السلاطين وزوجاتهم وبناتهم على رأس هذه القائمة من النساء اللاتى شاركن فى الحياة السياسية وما ينتج عنها من تفاعل اجتماعى، فعلى سبيل المثال وليس الحصر السلطانة "حفصة" والدة السلطان "سليمان القانونى"(٤٦)، والسلطانة "نوربانو" والدة السلطان "مراد الثالث"، والسلطانة "صفية" والدة السلطان "محمد الثالث"، والسلطانة "كوسم" والدة كلًا من السلطانين "مراد الرابع وإبراهيم الأول"، والسلطانة "خديجة" والدة السلطان "محمد الرابع"، والسلطانة "كلنوش أمة الله" والدة كلًا من السلطانين "مصطفى الثانى وأحمد

---

(٤٤) محمد حرب، السلطان عبد الحميد الثانى آخر السلاطين العثمانيين الكبار، الطبعة الأولى، دار القلم، دمشق، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص٩٨.

(٤٥) كريم عبد المجيد، لمحات عن حياة المرأة فى العهد العثمانى، http://www.masralarabia.com، ٢٠١٧/٣/١٧م.

(٤٦) ماجدة صلاح مخلوف، الحريم فى القصر العثمانى، الطبعة الأولى، دار الآفاق العربية، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ص٤٦.

الثالث"، والسلطانة "بزم عالم" والدة السلطان "عبد المجيد الأول"، والسلطانة "برتونيال" والدة السلطان عبد العزيز (٤٧).

كما كانت هناك معاملات تجارية شاركت فيها النساء وهذا ما تبينه السجلات المحفوظة وقوائم الجرد الخاصة بذلك، كذلك هناك بعض السجلات التى تحتفظ بأسماء النساء اللاتى كان لهن بعض القضايا، حيث كان المدعى والمدعى عليه من النساء (٤٨).

وقد كان للمرأة فى العصر العثمانى دور ورأى حتى فى المعمار والبناء، فعندما عندما انتقل السلطان "أحمد الثالث" للعيش فى مدينة إستانبول منذ عام ١٧٠٣م، اهتم ببناء الفيلات الأنيقة على شواطئ البسفور، وقد بدا اهتمام بعض من الأميرات بناته وأخواته بالبناء والمعمار وكان لهن رأى فى إعادة بناء فيلاتهم على الطراز الكلاسيكى الجديد، ثم نرى بعد ذلك حفيدته الأميرة "هاتيس سلطان" شقيقة السلطان "سليم الثالث" حينما كلفت المهندس الفرنسى "أنطوان إيغناس" ببناء أولى مبانى إستانبول على الطراز الكلاسيكى (٤٩).

وحينما كانت المرأة محرومة من حقوقها فى أوروبا، كانت المرأة فى العصر العثمانى تشيد الأوقاف وتنوع منافعها، وتبدع فى إخراج الجديد منها فأنشئت أوقاف خلدها التاريخ، حققت مقاصدها، وكانت روائع فنية معمارية واجتماعية حضارية وثقها التاريخ، وكان التنافس لعمل الخير بين النساء فاعلًا، ففى السجلات العثمانية أكثر من ٢٥٠٠وثيقة وقف لنساء فاضلات أوقفن الكثير من الخيرات، لذلك لم تكن المرأة مهمشة كما يصفها الغربيون، فقد كتب أحد الغربيين عندما درس أوقاف تركيا، فقال: "إن الإسلام جعل من الأتراك أكثر متصدقين فى

---

(٤٧) إحسان أوغلى، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، مرجع سبق ذكره، ص ١٥٥، ١٥٦.

(٤٨) ثريا فاروقى، النساء فى العالم العثمانى من منتصف القرن الثامن عشر إلى أوائل القرن العشرين، ترجمة: عايدة سيف الدولة، مؤسسة النساء والثقافات الإسلامية، المجلد الأول، دار بريل، ليدن، بوسطن، ٢٠٠٣م، الترجمة بالتعاون مع مؤسسة المرأة والذاكرة، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ٢٤٦: ٢٤٨.

(٤٩) نفس المرجع، ص٢٤٧.

العالم"، بل تساءل بعضهم: "هل الحضارة من الوقف، أم الوقف من الحضارة؟" وتساءل آخرون: "أيهما أسبق الحضارة أم الوقف؟" (٥٠) .

وقد أسهمت نساء الحرملك بكل فئاته بالمشاركة فى بناء العديد من تلك المؤسسات الخيرية، حيث كان أغا البنات هو المسؤول عن متابعة تلك المؤسسات الخاصة بنساء الحرملك (٥١).

ومن النساء زوجات السلاطين وأمهات السلاطين اللاتى شاركن فى تشييد المؤسسات الاجتماعية والخيرية: –

١– السلطانة "حفصة" والدة السلطان "سليمان القانونى"، كانت من النماذج النسائية المشهود لها بأعمال الخير حيث تركت مؤسسات ومبانى وأوقاف خيرية كثيرة، فقد قامت ببناء كلية ضمت جامعًا ومستشفى وعمارة وحمامًا ومدرسة وخانقاه ومدرسة لتعليم الصبيان فى ولاية "مغنيسيا" أثناء فترة ولاية ابنها "سليمان" هناك، كما كانت لها وقفية مكتوبة باللغة العربية مؤرخة فى ٩٢٩هـ/ ١٥٢٢م، تأمر فيها على تقديم الطعام مرتين صباحًا وعصرًا لطلاب العلم والفقراء (٥٢)، كما بُنِى بأمر منها مسجد فى منطقة "أورلا " (Urla) التابعة لمدينة أزمير على بحر إيجة فى عام ١٥٢٢م (٥٣) .

مسجد السلطانة عائشة حفصة

---

(٥٠) المرأة وروائع الأوقاف العثمانية، www.alforqan.net، ٢٠١٧/٤/٨م.

(٥١) ماجدة صلاح مخلوف، أوقاف نساء السلاطين العثمانيين–وقفية زوجة السلطان سليمان القانونى على الحرمين الشريفين، الطبعة الأولى، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص ٧.

(٥٢) نفس المرجع، ص ٤٦.

(٥٣) السلطانة الأم عائشة حفصة سلطان، http://www.turkpress.co، ٢٠١٧/٣/١٨م

٢- السلطانة "خُرم – روكسلانا" كانت من أكثر نساء الحرم السلطانى إنفاقًا فى أعمال الخير فأوقفت كل أملاكها وبنت هى وابنتها "مهرماه" عدداً من الأسبلة وجامعًا ومدرسة وحمامًا(٥٤)،

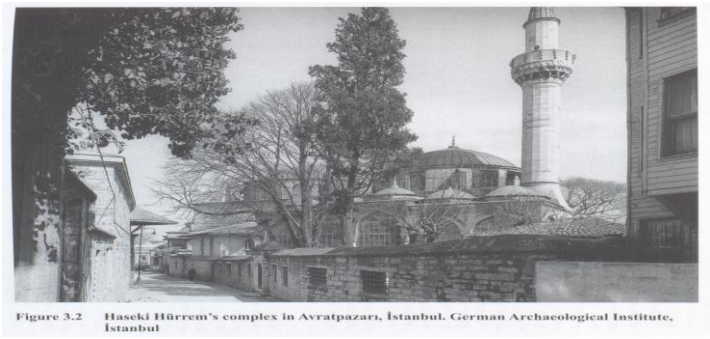

Figure 3.2 Haseki Hürrem's complex in Avratpazarı, İstanbul. German Archaeological Institute, İstanbul

Lucienne Thys-Şenocak, Ottoman women builders, KoÇ University, Turkey, 2006, p79

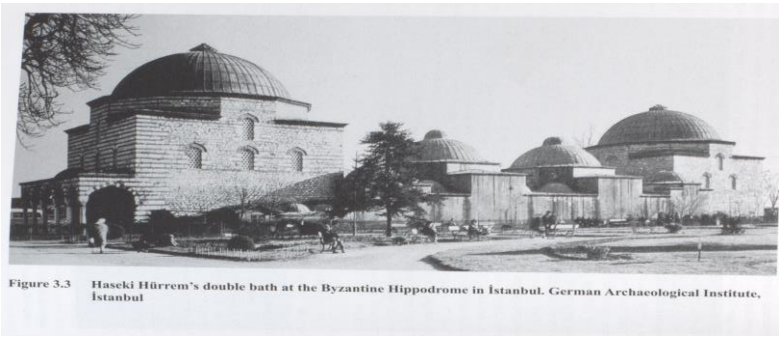

Figure 3.3 Haseki Hürrem's double bath at the Byzantine Hippodrome in İstanbul. German Archaeological Institute, İstanbul

Lucienne Thys-Şenocak, Ottoman women builders, KoÇ University, Turkey, 2006, p80

كما أمرت ببناء مستشفى بجوار جامع خاصكى بإستانبول(٥٥)، وشيدت قصر للقوافل عند نهر مزيج، وقنوات لتوصيل المياه لأدرنة، كذلك أنشأت مؤسستين خيرتين فى مكة المكرمة والمدينة المنورة لخدمة طلاب العلم والفقراء، كذلك أمرت ببناء مدرسة وسكن للطلاب وكتبت هذه الوقفية باللغة العربية ووضحت فيها

(٥٤) ماجدة مخلوف، الحريم فى القصر العثمانى، مرجع سبق ذكره، ص ٤٧.

(٥٥) سيد محمد السيد محمود، تاريخ الدولة العثمانية (النشأة والازدهار)، الطبعة الاولى، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص٤٤٣.

أماكن هذه الأوقاف والعاملين عليها والموظفين ورواتبهم وأوجه الإنفاق من هذه الأوقاف الأمر الذى وضح كثيراً فهم ملامح الحياة الاقتصادية والاجتماعية لحريم القصر السلطانى ومشاركتهم فيها(٥٦).

٣- السلطانة "نوربانو" هى زوجة السلطان " سليم الثانى" وأم السلطان "مراد الرابع"، أمرت ببناء كلية فى أسكودار تعرف باسم "والدة عتيق"، تضم جامعًا ومدرسة ومستشفى وعمارة وحمامات ومدرسة للصبيان،

Figure 3.6 Nurbanu's Atik Valide Üsküdar complex, entrance. German Archaeological Institute, İstanbul

Lucienne Thys-Şenocak, Ottoman women builders, KoÇ University, Turkey, 2006, p86.

حيث جمعت أجمل نماذج فن الخزف فى هذا الجامع، وأوقفت عليه أوقافًا، كما شيدت حمامين فى إستانبول (٥٧)

٤- السلطانة "صفية" زوجة السلطان "مراد الثالث" وأم السلطان "محمد الثالث"، أنشأت جامعًا حمل اسمها عام ١١٠١هـ وأوقفت عليه٤٠٠ فدان ٣٢ دكانًا (٥٨)، وأمرت بالبدء فى **بناء مسجد** جديد فى عام ١٥٩٧م ولكنها توفت قبل أن يتم اكتمال بنائه

(٥٦) ماجدة مخلوف، أوقاف نساء السلاطين العثمانيين، مرجع سبق ذكره، ص١٣.

(٥٧) نفس المرجع، ص٥٢.

(٥٨) زينب أبو المجد، أوقاف النساء: المرأة-المعرفة-السلطة، مقالة ضمن مقالات المرأة والحضارة، ص٢٥.

وقد قامت السلطانة "خديجة طارخان" بإكمال بناءه بعدها (٥٩)، كما أوقف عين ماء وسبيل وجامعًا فى إحدى قرى أسكودار (٦٠).

٥- السلطانة "كوسم ماه بيكر" هى زوجة السلطان "أحمد الأول"، ووالدة كلًا من السلطانين "مراد الرابع و إبراهيم الأول"، كانت مهتمة بإرضاء الشعب لذلك فقد تركت مؤسسات خيرية كثيرة العدد لا حصر لها، لدرجة لا يستوعبها العقل، وانتقلت ثروتها الكبيرة إلى خزينة الدولة(٦١)، اهتمت السلطانة كوسِم بتشييد ما ينفع الناس، من مساجد ومدارس وينابيع مياه للشرب (نوافير) وبيوت المسافرين مسجد كوسم سلطان Lucienne Thys-Şenocak, Ottoman women builders, KoÇ University, Turkey, 2006, p88 وغير ذلك ومما شيدته مسجدًا بالقرميد الصيني ومدرسة بالقرب منه فى منطقة **أوسكودار باستانبول** فى عام ١٦٤٠م، وبنت "**كاروانسراى**" الوالدة" وهو (بيت للمسافرين والقوافل) فى منطقة "تشاكماكتشيلار يوكوشو "**بإستانبول**، ومساجد معروفة باسم "والدة خان"، كما شيدت أيضًا مساجد صغيرة وينابيع مياه كثيرة العدد منها بـ "مدرسة الوالدة" فى قرية "أناضولو كافاى"، و"ينى كابى" **باستانبول** وفى **بشيكطاش** و**أيوب** (منطقة مدفن)، وبنت الكثير من هذه الينابيع خارج مدينة إستانبول(٦٢)، وقامت بتحرير العبيد كما زارت السجون وسددت

(٥٩) ماجدة مخلوف، الحريم فى القصر العثمانى، مرجع سبق ذكره، ص٤٧.

(٦٠) نفس المرجع، ص٤٨.

(٦١) يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، المجلد الأول، مرجع سبق ذكره، ص٤٩٦، ٤٩٧.

(٦٢) ماجدة مخلوف، الحريم فى القصر العثمانى، مرجع سبق ذكره، ص٥٠.

ديون الغارمين الذين تم سجنهم، ومولت أعمال الرى فى مصر، كما ساعدت الفقراء وكانت تؤدى ديون المعسرين، وأنفقت على زواج الفتيات المسلمات والجوارى(٦٣).

السلطانة "خديجة طارخان" هى زوجة السلطان "إبراهيم الأول"، ووالدة السلطان "محمد الرابع، قامت ببناء مدرسة ودار للحديث وسبيل، وأوقفت عين ماء، وسوقًا، كما شيدت قلاعًا على بوغاز "جناق"، وقامت باستكمال بناء الجامع الجديد الذى بدأت فى بنائه من قبلها السلطانة "صفية"(٦٤).

٦- السلطانة "رابعة كلنوش" هى زوجة السلطان "محمد الرابع" ووالدة كلاً من السلطانين "مصطفى الثانى وأحمد الثالث"، قامت ببناء عمارة تحمل اسمها فى مكة المكرمة، وبنت عيون ماء وأسبلة على طريق الحج، وشيد لها ابناها السلطانان بعض المبانى التى حملت اسمها وهى جامع فى "غلطه" وكلية ومدرسة للصبيان وسبيل وعين ماء (٦٥).

٧- السلطانة "مهرشاه" هى زوجة السلطان "مصطفى الثالث"، ووالدة السلطان "سليم الثالث"، أسست عدة مدارس ومساجد فى أواخر القرن الثامن عشر، وأنشأت سبيلًا حمل اسمها فى منطقة "ينى كوى" بالأستانة، وكذلك مدرسة حملت اسمها فى منطقة أيوب بالأستانة، كما قامت بتأسيس السلك الدبلوماسى واهتمت بإعادة تنظيم المدارس العسكرية(٦٦)، ولها وقفية تذكر " أنه فى يوم الخميس من كل أسبوع، وأيضًا يوميا طوال شهر رمضان، تقدم ٨٣ أقة أرز، و١٢٣ أقة من لحم الغنم، و٥٠ أقة من العسل الصافى لإطعام الفقراء وكانت تدفع رواتب طلاب العلم، وشيخ المقرئين والمعلمين وكذلك

---

(٦٣) نفس المرجع، ص٥٠، ٥١.

(٦٤) نفس المرجع، ص ٤٦، ٤٧.

(٦٥) ماجدة مخلوف، الحريم فى القصر العثمانى، مرجع سبق ذكره، ص٥٠.

(٦٦) نفس المرجع، ص٥١.

الحـراس القـائمين علـى حراسـة المدرسـة، كمـا أنشـئت مكتبـة داخـل جـامع أيوب الأنصارى(٦٧).

١٠-السلطانة "نقش دل" هى زوجة السلطان "عبد الحميد الأول"، ووالدة السلطان "محمود الثانى" من أهم أعمالها أنها ساعدت على تقوية الاقتصاد العثمانى (٦٨)، وقد تركت مؤسسات خيرية منها مدرسة لتعليم الصبيان، وسبيلًا للمياه فى حى الفاتح وعددًا من عيون الماء وعمارة لإطعام الفقراء بأنحاء متفرقة فى مدينة إستانبول (٦٩).

١١-السلطانة "بزم عالم" هى زوجة السلطان "محمود الثانى" وأم السلطان "عبد المجيد الأول"، شيدت عددًا كبيرًا من المؤسسات الخيرية (٧٠)، فى إستانبول وخارجها، منها مستشفى لعلاج الفقراء بالمجان، وجامع ومدرسة وسبيل، كم بدأت فى بناء مستشفى آخر خيرى بمكة المكرمة ولكنها توفيت قبل الانتهاء منها وأكملها من بعدها ابنها السلطان "عبد الحميد الثانى"(٧١).

ومن زوجات السلاطين أيضًا وأمهاتهم من تركن خيرات ومؤسسات اجتماعية كثيرة، مثل "كل فم خاتون" إحدى زوجات السلطان "سليمان القانونى" فقد بنت جامعًا وعمارة فى أسكودار وأوقفت عليهم الكثير من الخيرات، وكذلك "شمس رخسار قادين" إحدى زوجات السلطان "مراد الثالث" حيث قامت بوقف مبلغ من المال على ثمانية أشخاص يقومون بقراءة القرآن على روحها فى المدينة المنورة،

---

(٦٧) نفس المرجع، نفس الصفحة.

(٦٨) السلطانة نخشديل زوجة السلطان عبد الحميد الأول، https://www.adwhit.co، ٢٠١٧/٣/٢٤م.

(٦٩) ماجدة مخلوف، الحريم فى القصر العثمانى، مرجع سبق ذكره، ص٥١.

(٧٠) وفاة السلطانة بزم عالم، http://www.islamstory.com، ٢٠١٧/٣/٢٦م.

(٧١) ماجدة مخلوف، الحريم فى القصر العثمانى، مرجع سبق ذكره، ص٤٤.

كما أوقفت "خديجة رامى قادين" الزوجة السادسة للسلطان "محمود الأول" مدرسة وسبيل وعين ماء، والسلطانة "أمة الله قادين" زوجة السلطان "أحمد الثالث"؛ حيث بنت مسجدًا ومدرسة وعين ماء، كما قامت السلطانة "بيناز زينب قادين" زوجة السلطان عبد الحميد الأول بعمل خيرى كبير حيث إنها أوصت بعتق كل جواريها بعد وفاتها، وأوقفت أموالًا بمثابة كفارة عما فاتها من صلاة أو صيام(٧٢)، وأيضا "شب صفا قادين" الزوجة السادسة للسلطان " عبد الحميد الأول"، المتوفاة عام ١٨٠٥م فقد تركت مجمعا مكونا من مسجد ومدرسة ابتدائية؛ تم تجهزه لاستقبال التلميذات(٧٣)، والسلطانة "برتونيال" زوجة السلطان "محمود الثانى" ووالدة السلطان "عبد العزيز"، شيدت مسجدًا فى حى "أق سراى" بإستانبول حمل اسمها، ويُعتبر آخر مسجد تم بناؤه فى العصر العثمانى بإستانبول(٧٤)، وشيدت مكتبة وأوقفت عليها الكثير من الكتب وقامت بإجراء إصلاحات كثيرة فى مستشفى الفقراء فى كلًا من مكة المكرمة والمدينة المنورة(٧٥)، كذلك قامت بتبنى تقاليد بعض أمهات مسجد السلطانة برتونيال وهو أخر مسجد بنى في العصر العثمانى باستانبول السلاطين من القرن السابع عشر بإنشاء مؤسسة ذات أغراض عسكرية، حيث قامت بأنشاء قسم جديد فى ميناء إستانبول بهدف بناء السفن البحرية، وبالمثل كذلك فإن إحدى بنات الخديوى محمد على باشا، الذي كان فى يوم ما منافسا للسلطان "محمود الثانى" على العرش العثمانى، وكانت تعرف فى تركيا باسم "زينب كامل" (١٨٢٥/ ١٨٨٢م)، نسبة إلى زوجها فقد قامت هى أيضًا مثل سيدات أسرة السلطان بتأسيس مستشفى ضخم ما زال يعمل حتى الآن(٧٦).

---

(٧٢) نفس المرجع، ص٤٣: ٤٩.

(٧٣) ثريا فاروقى، النساء فى العالم العثمانى من منتصف القرن الثامن عشر إلى أوائل القرن العشرين، مرجع سبق ذكره، ص٢٤٨.

(٧٤) مسجد برتونيال والدة سلطان، أق سراى، القسطنطينية، تركيا، https://www.wdl.org، ٢٠١٧/٣/٢٦م.

(٧٥) ماجدة مخلوف، الحريم فى القصر العثمانى، مرجع سبق ذكره، ص٤٤، ٤٥.

(٧٦) ثريا فاروقى، النساء فى العالم العثمانى من منتصف القرن الثامن عشر إلى أوائل القرن العشرين، مرجع سبق ذكره، ص٢٤٨.

كما ساهمت الكثير من النساء اللاتى لم يكن أمهات سلاطين ولا زوجات سلاطين فى الكثير من الأعمال الاجتماعية والخيرية بشكل ملحوظ خلال العصر العثمانى، ومن هؤلاء السيدات "هند خاتون" التى كانت مرضعة السلطان "محمد الفاتح" ولها أوقاف كثيرة بالقرب من منطقة محمود باشا باستانبول، كما قامت "دايا خاتون" مربية السلطان "سليمان القانونى" بإنشاء جامع بحى داود باشا، وكذلك السيدة "قمر خاتون" مربية السلطان "سليم الأول" ببناء جامع فى "بك أوغلو" ومدرسة للصبيان بجوار "يدى قولة" فى إستانبول، كما قامت "نازيرور قالفة" مربية السلطان "سليم الثالث" بإنشاء مدرسة للصبيان وسبيل ماء فى داود باشا بإستانبول(٧٧).

ومن هؤلاء السيدات أيضًا "أسماء خاتون" التى كانت تشغل وظيفة خبيرة "أوسطه" الطعام فى الحرملك، حيث أوقفت كثيراً من المال لإطعام الفقراء والمساكين، كذلك السيدة "بدر جهان قالفة" أوقفت أيضًا قدرًا من المال على الفقراء، وأوقفت مبلغًا آخر من المال على روح سيدة كانت تعمل فى مخزن مؤن الحريم وكانت تدعى "نائلة خاتون"، و"جان فداء" التى كانت تشغل وظيفة وكيلة أعمال السلطانة "صفية" زوجة السلطان "مراد الثالث" حيث قامت بإنشاء جامع بجوار "باب أدرنة" فى إستانبول، وجامع آخر عند مرسى "آق باب"، وسبيل ماء، كما قامت "جورى قالفة" والتى كانت نائبة فى الحريم السلطانى فى عهد السلطان "محمود الثانى" بإنشاء مدرسة كبيرة مكونة من ثلاث مبانٍ من طابقين بها قاعات للتدريس، كما خصصت سبيل ماء فى ميدان السلطان أحمد باستانبول، وأوقفت أوقافًا كثيرة على عين الماء فى أسكودار(٧٨).

الخاتمـــــــــة

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات، فقد توصلنا فى نهاية هذا البحث بعد توفيق الله سبحانه وتعالى إلى عدة نتائج مهمة، سوف نوجزها فيما يلى:-

---

(٧٧) ماجدة مخلوف، الحريم فى القصر العثمانى، مرجع سبق ذكره، صفحات ٤٨، ٤٩، ٥١، ٥٢.

(٧٨) نفس المرجع، ص٤٣: ٤٥.

- تبين لنا من خلال هذه الدراسة أن النساء فى الدولة العثمانية على الرغم من أنهن كن يعيشن داخل الحرملك وبعيدات إلى حد ما عن عامة الناس، فقد تبين أنهن قمن بأدوار كبيرة فى الدولة العثمانية كان ابرزها فى المجال السياسى.
- بدأ تدخل النساء فى شئون الحكم وأمور الدولة خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلادى، وكانت أمهات السلاطين هن أول من بدأن هذه السلسلة، ومن أشهرهن السلطانة "حفصة سلطان" زوجة السلطان "سليم الأول" ووالدة السلطان "سليمان القانونى"، ثم جاءت بعدها السلطانة "روكسلانا" زوجة السلطان "سليمان القانونى" حيث تدخلت فى شئون الحكم وإدارة الدولة تدخل لم يسبق له نظير، واستطاعت أن توجه سياسة الدولة لخدمة مصلحتها الخاصة.

ومن الأمثلة الأخرى لتدخل النساء فى السلطة السلطانة "صفية" زوجة السلطان "مراد الثالث"، ثم السلطانة "كوسم ماه بيكر" زوجة السلطان "أحمد الأول" وكانت واحدة من أقوى النساء فى التاريخ العثمانى، كما كانت أثيرة لحب السلطة وشهوة الحكم، كما أن السلطانة "خديجة طارخان" زوجة السلطان "إبراهيم الأول" ووالدة السلطان "محمد الرابع" كان لها بصمات قوية ومؤثرة فى التاريخ العثمانى.

- شاركت النساء فى العصر العثمانى فى المجالات المختلفة فى الحياة العامة، فكما شاركت فى الحياة السياسة، شاركت أيضًا فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية فشيدت المدارس والجوامع وأوقفت الكثير من الأوقاف الخيرية وأنشأت الكثير من المبانى الخدمية، كما شاركت فى التجارة والمعاملات التجارية وهذه تُعد من النتائج الإيجابية.
- خضع بعض السلاطين العثمانيين لتأثير زوجاتهم القوى عليهم وسمحوا لهم بالتدخل الصريح فى الحكم، فعهد السلطان "سليمان القانونى" الذى يعتبر من أقوى فترات عصر الدولة العثمانية حيث بلغت الفتوحات أقصاها، فقد شهد نفس العهد أولى خطوات سقوط الدولة وانهيارها جراء تدخل النساء فى الحكم، فقد استجاب السلطان لرغبات زوجته وقتل ابنه، الذى كان قائدًا فذًا، ثم بدأت بعد ذلك سلسلة من السلاطين الضعاف الذين استسلموا للنساء.

- تدخلت النساء بصورة واضحة فى السياسة الداخلية للدولة العثمانية؛ حيث كن يعيين من يشئن فى المناصب الإدارية، ويعزلن من يشئن من القيادات حتى قيادات الجيش، وكذلك القيادات العليا فى الدولة مثل الصدور العظام والوزراء، ونزولًا إلى الموظفين وذلك بتأثيرهن على أزواجهن وأبنائهن السلاطين.
- كان عصر السلطان "إبراهيم" وابنه "السلطان "محمد الرابع" من أكثر الفترات التى شهدت على صراع النساء الخفى على السلطة، فحاولت السلطانة "كوسم ماه بيكر" حفيدة السلطان "محمد الرابع" أن تقتل حفيدها بمساعدة أغوات الإنكشارية وتولية حفيد آخر لها؛ حتى تنفرد بالتحكم فى شئون الدولة، وعلى الجانب الآخر تحالفت والدة السلطان "محمد الرابع" السلطانة "خديجة طارخان" مع رجال القصر وتم قتل السلطانة الجدة "كوسم ماه بيكر" بعد اكتشاف مؤامرتها، هذه الصراعات الخفية بين نساء الحرملك أدت فى النهاية إلى ضعف وتقويض الدولة العثمانية.
- إن استقرار الحكم فى يد السلطانة "خديجة طارخان" لمدة تزيد عن الخمس سنوات، ومن ثم قامت بالبحث عن رجل ذو حنكة وخبرة ليتسطيع تحمل مسئولية إدارة الدولة، وبالفعل فقد سلمتها للصدر الأعظم "محمد باشا كوبرولى"، وهذه تُعد أيضًا من النتائج الإيجابية.

وفى النهاية بالرغم من قلة المصادر التى تناولت حياة النساء فى العصر العثمانى، إلا أننا قد توصلنا إلى أن المرأة فى العصر العثمانى ومن خلال تدخلها فى إدارة البلاد وفى شئون الحكم والسياسة، ساهمت فى زيادة أوقاف وخيرات الدولة، وأيضًا ساهمت بعض الشئ فى إستقرار بعض سنوات الحكم فى عهد السلطانة الوالدة "خديجة طارخان"، وهذه نتيجتين إيجابيتين.

ولكن نرى أن تخل النساء فى السياسة وفى شئون إدارة الدولة قد ساهم بشكل كبير فى إضعاف مركز الدولة وإضعاف السلطة، وإضعاف السلاطين أنفسهم، وساعدت على فتورهم عن مباشرة أمور الحكم وحضور جلسات الديوان الهمايونى وعدم خروجهم على رأس الجيوش فى المعارك الحربية، وانشغالهم بالجوارى والمحظيات، الأمر الذى أدى فى النهاية إلى سقوط الدولة، على الرغم من أن الدولة قد سقطت بعد فترة ليست بقليلة من

نهاية سلطنة الحريم ولكن في الحقيقة إن الأمراض الفتاكة التى تصيب الجسم فى فترة الشباب والقوة لا يظهر تأثيرها إلا فى فترة الضعف والشيخوخة.

قائمة المراجع

أولا المراجع العربية

- أحمد آق كوندز–سعيد أوزتورك، الدولة العثمانية المجهولة، إستانبول، ٢٠٠٨م.
- إسماعيل أحمد ياغى، الدولة العثمانية فى التاريخ الإسلامى الحديث، الطبعة الثانية، مكتبة العبيكان، ١٩٩٨م.
- ثريا فاروقى، النساء فى العالم العثمانى من منتصف القرن الثامن عشر إلى أوائل القرن العشرين، ترجمة عايدة سيف الدولة، مؤسسة النساء والثقافات الإسلامية، م الأول، دار بريل، ليدن، بوسطن، ٢٠٠٣م، الترجمة بالتعاون مع مؤسسة المرأة والذاكرة، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- سيد محمد السيد محمود، تاريخ الدولة العثمانية (النشأة والازدهار)، الطبعة الاولى، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- عبد الحميد الأنصارى، الحقوق السياسية للمرأة فى الإسلام، حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد الثانى، جامعة قطر، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.
- عبد السلام الترمانيني، الرق ماضيه وحاضره، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٧٩م.
- عبد العزيز محمد الشناوى، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج الأول، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٠م.
- ماجدة صلاح مخلوف، الحريم فى القصر العثمانى، الطبعة الأولى، دار الآفاق العربية، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
- ماجدة صلاح مخلوف، أوقاف نساء السلاطين العثمانيين–وقفية زوجة السلطان سليمان القانونى على الحرمين الشريفين، الطبعة الأولى، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
- محمد حرب، السلطان عبد الحميد الثانى آخر السلاطين العثمانيين الكبار، الطبعة الأولى، دار القلم، دمشق، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص٩٨.

- محمد فريد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحيق إحسان حقى، الطبعة الأولى، دار النفائس، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨١م.
- مصطفى السباعى، المرأة بين الفقه والقانون، الطبعة السابعة، دار الوراق، الرياض، ١٩٩٩م/ ١٤٢٠هـ.
- يوسف آصاف، تاريخ سلاطين بنى عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولى، القاهرة، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

ثانياً قائمة الأبحاث والرسائل العلمية والمقالات العربية

- زينب أبو المجد، أوقاف النساء: المرأة–المعرفة–السلطة، مقالة ضمن مقالات المرأة والحضارة، بدون تاريخ نشر.
- نسيبة عبد العزيز الحاج علاوى، دور آل كوبرولى فى إصلاع أوضاع الدولة العثمانية (١٦٥٦–١٧٠٢م)، كلية الآداب، جامعة الموصل، المؤتمر العلمى الأول لكلية التربية الإسلامية، ٢٠٠٧م.

ثالثاً قائمة المراجع المترجمة

- أكمل الدين احسان أوغلى، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، م الأول، ترجمة: صالح سعداوى، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إستانبول، ١٩٩٩م.
- خليل اينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الإنحدار، ترجمة: محمد.م. الأرناؤوط، الطبعة الأولى، دار المد الإسلامى، بيروت، ٢٠٠٢م.
- عائشة عثمان أوغلى، والدى السلطان عبد الحميد الثانى، ترجمة: صالح سعداوى صالح، الطبعة الأولى، دار البشير، الأدرن، ١٤١١هـ/ ١٩٩٩م.
- يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: عدنان محمود سلمان، المجلد الأول، المجلد الثانى، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، إستانبول، ١٩٨٨م.

رابعا المراجع الأجنبية والالكترونية

- Lucienne Thys–Şenocak, Ottoman women builders, KoÇ University, Turkey, 2006, p88

- كريم عبد المجيد، لمحات عن حياة المرأة فى العهد العثمانى، http://www.masralarabia.com، ٢٠١٧/٣/١٧م.
- المرأة وروائع الأوقاف العثمانية، www.alforqan.net، ٢٠١٧/٤/٨م.
- السلطانة الأم عائشة حفصة سلطان، http://www.turkpress.co، ٢٠١٧/٣/١٨م.
- السلطانة نخشديل زوجة السلطان عبد الحميد الأول، https://www.adwhit.co، ٢٠١٧/٣/٢٤م.
- وفاة السلطانة بزم عالم، http://www.islamstory.com، ٢٠١٧/٣/٢٦م.
- مسجد برتونيال والدة سلطان، أق سراى، القسطنطينية، تركيا، https://www.wdl.org، ٢٠١٧/٣/٢٦م.